الظواهر الصرفية في القراءات القرآنية في تفسير الطبري دراسة تحليلية

إعداد/ منار علي محمد سعيد

مدرس مساعد بقسم اللغة العربية

كلية الآداب بالوادي الجديد- جامعة أسيوط

2016م

بحث مستل من رسالة الدكتوراه

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– وصحبه أجمعين، وبعد فنعم الله –عزَّ وجلَّ– على عباده لا تعد ولا تحصى، ومن أجلّها أنَّه بعث لهم رسولاً بلسان قومه ليبين لهم، كما أنزل القرآن على سبعة أحرف تيسيراً وتسهيلاً على الأمَّة التي يصعب على بعضهم تغيير ما اعتادوا عليه من لهجة معينة.

جاءت هذه الدراسة لرصد القضايا الصرفية في القراءات القرآنية الواردة في تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) وتوجيهها؛ فعنونت ب(الظواهر الصرفية في القراءات القرآنية في تفسير الطبري– دراسة تحليلية)، وتتمثل أهمية الدراسة في قدسيّة مادتها؛ حيث اتخذت من القرآن الكريم وقراءاته موضوعها، كما أنَّ قلة الدراسات التي تتناول الاختلافات الصرفية في القراءات القرآنية وقلة الدراسات التي تصنف أبواب الصرف في القراءات بشكل عام من أهم أسباب أهميتها.

اشتملت الدراسة على مبحثين أولها الاختلاف بين صيغ الأسماء، ويتناول: التبادل بين صيغتيْ فَعِل وفَأْعِل، وبين صيغتيْ فِعْل وفَاعِل، وبين صيغتيْ مُفْعِل ومُفْعَل، وبين صيغتيْ مُفْعَل ومَفْعَل، وبين صيغتيْ فُعَل – فِعَال، وبين فَعْل وفِعَال، وفُعْلَة وفَعْلَة، وفَعْل وفُعُل، وفِعلال وفُعلال، وفَعلى وفُعالى، وبين المفرد والجمع في فِعال وفُعُل، وبين المثنى والجمع، وبين المفرد وجمع التكسير وجمع المؤنث السالم، وبين أوزان صيغ المبالغة. والثاني الاختلاف بين صيغ الأفعال، واشتمل على الإبدال بين فَعَلَ وفَعِلَ، وبين فَعَل وفَعُلَ، وبين فَعَلَ وفُعشلَ، وفَعَلَ وفُعِّلَ، وفَعَلَ وأَفْعَلَ، وفَعَلَ افتعَلَن وفَعَلَ وفَاعَلَ، وفُعِلَ وفَاعَلَ، وفَاعَلَ وفَعَّلَ، ويُفْعِل ويَفَّاعَل، وبين يَفْعَل ويَفَّعَّل ويَفَّاعَل. وانتهت الدراسة إلى مجموعة من النتائج ذكرت في الخاتمة.

أوّلاً: التبادل في الصيغ الإسمية:

1– التبادل بين صيغتيْ فَعِل وفَأْعِل

فالتبادل بين صيغتيْ (فَعِل) و(فَأْعِل) كثير في اللغة، ولكن هناك خلافاً بين العلماء في دلالة الصيغتين[1]، ويرجع سبب هذا الخلاف غلى أن صيغتيْ (فَعِلَ) و(فَأْعَلَ) تشتركان في تشابههما في عدة أمور: فمثلاً: صيغة (فَعِل) قد تأتي اسماً، نحو: كَتِف، وكَبِد. وقد تأتي صفة، نحو: حذِر، ووَجِع.[2] كما أنَّ صيغة (فَاعِل) أيضاً تكون اسماً نحو: كَاهِل، وغَارب، وتكون صفة نحو قولنا: ضارب، وقاتل.[3]، وتكرر هذا النمط في ستة مواضع في القراءات الواردة في تفسير الطبري– منها (مالك) في قوله تعالى: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" (سورة الفاتحة: الآية: 4)،

و(قانط) في قوله تعالى: "قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ"(سورة الحجر، الآية:55)، و(فاره) في قوله تعالى: "وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ"(سورة الشعراء، الآية: 149)، و(فاكه) في قوله تعالى: "وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ" (سورة الدخان، الآية: 27)، و(ناخر) في قوله تعالى: "أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً"(سورة النازعات، الآية: 11)، و(لابث) في قوله تعالى: "لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا"(سورة النبأ، الآية: 23)؛ ففي قول الله- عزَّ وجلّ-: "وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ"(سورة الشعراء، الآية: 149) قرأ عبد الله وابن عبَّاس وزيد بن عليّ والكوفيون وابن عامر (فارهين) بألف، وباقي السبعة بغير ألف ، ومجاهد: (مُتَفَرِّهين) اسم فاعل من تَفَرَّه، والمعنى: نشطين مهتمين، قاله ابن عبَّاس. وقال مجاهد: شرهين، وقال ابن زيد: أقوياء أبو صالح: حاذقين، وقال ابن بحر: قادرين، وقال أبو عبيدة: مرحين[4]. والباقون: (فارهين): أى حاذقين بنحتها، قال الفرَّاء: هما لغتان مثل طَمِعَ وطامع[5]. وبإمعان النظر في كتب التفسير واللغة نجد أنَّ اللفظة مأخوذة من الفراهة، وهى: "جودة منظر الشيء وخبرته وقوته وكماله في نوعه".[6]؛ ف(فارهين) اسم فاعل من الفعل فَرِهَ، بمعنى: حاذقين بما يعملونه، أو كيِّسين، أو قادرين. و(فرهين) صيغة مبالغة بمعنى: أشرين بطرين، أو معجبين، أو شرهين[7]. والمعنيان متقاربان؛ فالبيوت المشار إليها في الآية السابقة نُحِتت ببراعة، فهم ينحتونها بحذقٍ وكياسة وإتقان لنقشها، عبثاً وبَطَراً من غير حاجة إلى سكانها.

أثرت القراءة السابقة كتاب الطبري بمعانٍ متعددة؛ فقد أورد معنى بيوت فارهين: مستفرهين متجبرين، وحاذقين بنحتها، وكيسين، كما أنَّه أورد قراءتيْ صيغة المبالغة واسم الفاعل، ورجَّح الأخيرة بقوله: "والصواب: فارهين"[8]

ثمّ أوضح الطبريّ شهرة القراءتين لدى القرَّاء يقول: "والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إنَّ قراءة من قرأ (فَارِهَين) وقراءة من قرأ (فَرِهين) قراءتان معروفتان، مستفيضة القراءة بكل واحدة منهما في علماء القرأة، فبأيَّتهما قرأ القارئ فمصيب.[9]" فورود هاتين القراءتين يؤدي إلى إثراء المادة اللغوية بتفسير الطبري دلالياً؛ فالمعاني تكاد تكون متشابهة ولكنها تحمل دلالات تميز كل لفظة عن الأخرى.

2- التبادل بين صيغتيْ (فِعْل وفَاعل) بين المصدر واسم الفاعل:

ووقع التبادل بين لفظتيْ (حِفظ) على وزن فِعْل و(حَافظ) على وزن فاعل في قول الله تعالى: "فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"(سورة يوسف، الآية: 64) فقد قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم (حافظاً) اسم فاعل، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: (حِفْظاً)[10]. وحُجّة من قرأ بالألف (حافظاً) قول الله عز وجلّ السابق حكاية عن إخوة يوسف (وإنَّا له لحافظون)، وكذا في قراءة ابن مسعود السابقة (فالله خير الحافظين) جمع حافظ. وحجة من قرأ بدون الألف (حِفْظاً) قوله تعالى: (ونحفظ أخانا)، فلمّا أضافوا إلى أنفسهم قال يعقوب: (فالله خيرٌ حفظاً) من حفظكم الذي نسبتموه إلى أنفسكم[11]. وصيغة (فِعل) بكسر الفاء وسكون العين حلَّت محل (حافظ) التي هى على وزن (فاعل) في القراءة السابقة، وجدير بالذكر أنّ وزن (فِعل) في العربية يأتي اسماً كـ (عِكْم) وجذع، ويأتي صفة نحو: نِقض، ونِضو. العِكم: العدل، والنِّقض: المنقوض،

والنِّضو: المهزول[12]. ويأتي وزن (فاعِل) في الاسم والصفة أيضاً، فالأوَّل نحو قوله: كاهِل، وغارِب، والثانية نحو قولنا: ضارِب وقاتِل[13]، وساوى الطبري بين القراءتين، وذهب إلى صحة القراءة بأيتهما، يقول: "والصواب من القول في ذلك أنَّهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى قد تقرأ بكل واحدة منهما أهل علم بالقرآن، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أنّ من وصف الله بأنّه خيرهم حفظاً فقد وصفه بأنَّه خيرهم حافِظاً، ومن وصفه بأنَّه خيرهم حافِظاً، فقد وصفه بأنَّه خيرهم حفظاً"[14].

والفرق الدلاليّ بين الحِفْظ والحافِظ أنَّ الأخير للدوام والاستمرار، أمَّا الأوَّل فيكون للشيء الواحد المقصود بالحفظ وهو إخوة يوسف في الآية السابقة.

3- التبادل بين صيغتيْ (مُفْعِل ومُفْعَل) بين اسم الفاعل واسم المفعول

وتكررت هذه الظاهرة في جامع الطبري في ثمانية مواضع، منها قوله تعالى: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا"(سورة مريم، الآية: 51) حيث قرأها الكوفيون بالفتح (مُخْلَصاً) وهى قراءة عاصم وحفص وحمزة والكسائي وخلف وأبو رزين وقتادة والحسن والأعمش. أى: أخلصه الله واختاره وجعله خالصاً من الدَّنَس، وحجتهم قوله: "إنَّا أخلصناهم بخالصةٍ"(سورة ص، الآية: 46)

وقرأها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية الكسائي عن أبي بكر والمفضل عن عاصم ويعقوب وأبو رجاء وأبو جعفر والحسن (مُخْلِصاً) بكسر اللام. أى: أخلصَ هو التوحيد فصار مخلِصاً، وجعل نفسه خالصة في طاعة الله، وحجتهم قوله: "مخلِصين له الدِّين"(سورة الأعراف، الآية:29)؛ فهى بالفتح النَّقاء من الدَّنَس، وبالكسرصفاء العبادة والطَّاعة لله وحده.[15]

في القراءة السابقة وقع الإبدال بين اسم الفاعل واسم المفعول في لفظتيْ (مُخْلَص) و(مُخْلِص). والمُخْلَص: الذي أخلصه الله، أى: جعله مختاراً من الدَّنَس، والمُخْلِص: الذي وحَّدَ الله تعالى خالِصاً. فالمُخْلَصون: المُخْتَارون، والمُخْلِصون: المُوَحِّدون[16]، وساوى الطبريّ بين القراءتين بقوله: "والصواب من القول في ذلك عندي: أنَّه كان صلى الله عليه وسلّم مخلصاً عبادة الله، مخلصاً للرسالة والنبوّة، فبأيَّتهما قرأ القاريء فمصيب الصواب[17].

4- التبادل بين صيغتيْ مُفْعَل ومَفْعَل

وورد ذلك في التبادل بين (مَجْرِيهَا) وَ(مُجراهَا) في قوله تعالى: "وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ"(سورة هود، الآية: 41) حيث قرأ عامَّة قرأة أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين(مُجراها، ومُرساها) بضم الميم في اللفظتين كلتيهما' والتبادل في المثال السابق بين اسم المكان واسم المفعول، ويشترك اللفظان في الوزن والزيادة. يقول ابن يعيش: "ويشمل هذا اللفظ–مفْعَل– المكان والزمان والمصدر والمفعول، وإنّما

اشتركت هذه الأشياء في لفظ واحد لاشتراكها في وصول الفعل إليها ونصبه إياها فلمَّا اشتركت في ذلك اشتركت في اللفظ"[18]، وبالنظر إلى (مُجرى) بالضم فهى من المتعدي أجرى يُجْري إجراء ومُجرى، فيكون معنى قوله تعالى: "مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا" أى: بالله إجراؤها وإرساؤها، ومن قرأ: "وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا" بالفتح فالمعنى: وبالله يقع جريها، وبالله يقع إرساؤها.[19]، واحتجَّ ممن قرأ بالضم باتفاق القراء على ضمّ (مُرْساها)، واحتجَّ مَن فتح الميم (مَجْرَاها) بأنَّه اسم للمكان، كما احتجوا بقوله تعالى في الآية التالية لها "وهِيَ تَجْرِي بِهِم فِي مَوْجٍ كَالجِبَالِ"؛ فالفعل في الآية الكريمة لازم، ولو كان ما قبلها بالضم "مُجراها" لكان الفعل متعدياً[20].

5- التبادل بين صيغتيْ (فُعَل – فِعَال)

في قول الله –عزَّ وجلَّ– "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ"(سورة البقرة، الآية: 210)، وظُلَل على وزن (فُعَل) الذي يكون في الأسماء، نحو : قُفَل، وفي الصفات، نحو: حُطَم (وهو الرَّاعي الظالم العنيف، والكثير الأكل).[21]؛ فمن قرأها (في ظُلَل) فإنَّه وجهها إلى أنها جمع ظِل، والظُّلَّة تجمع على ظُلَل وظِلال، كما تُجْمَع الحُلّة على حُلَل وحلال، والجلّة: جُلل وجِلال، وأمَّا الذي قرأها (في ظِلال) فإنَّه جعلها جمع ظُلَّة، كما ذكرنا من جمعهم الخُلَّة خِلالاً[22]. والظُّلَّة: ما سترك من فوق، وقيل في عذاب يوم الظُّلَّة، قيل يوم الصُّفَّة، وقيل له يوم الظُّلَّة لأن الله تعالى بعث غمامة حارّة فأطبقت عليهم، وهلكوا تحتها، وكل ما أطبق عليك فهو ظُلَّة، وكذلك كل ما أظلَّك.وقوله –عزَّ وجلَّ– " لهم من فوقهم ظُلَلٌ من النار ومن تحتهم ظلل" قال ابن الأعرابي: هى ظُلَلٌ لمن تحتهم، وهى أرض لهم، وذلك أنَّ جهنّم أدراك وأطباق، فبساط هذه ظُلّة لمن تحته، ثمَّ هلم جرّا حتَّى ينتهوا إلى القَعْر[23].

6- التبادل بين صيغتيْ (فَعْل - فِعَال)

في قوله تعالى: " الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى"(سورة طه، الآية: 53)، وكلمة (مَهْد) على وزن (فَعْل) وهذا الوزن يكون في الاسم والصفة، فمن الأوَّل قولنا: صَقْر، وفَهْد، ومن الصفة: ضَخْم وصَعْب[24]؛ أمَّا الصيغة الصرفيَّة المبدلة منها فهى (مِهَاد) على وزن (فِعال)، وتأتي في اللغة أيضاً في الاسم نحو: حِمَار، والصفة نحو كِنَاز وضِناك. واللفظتين بمعنى المكتنزة اللحم، الضخمة.[25]، قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ورويس وزيد عن يعقوب (مِهَادا) بالألف وكسر الميم وفتح الهاء.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب وخلف (مَهْداً) بفتح الميم من غير ألف، وسكون الهاء[26]. وهما– أى مهْداً ومِهَاداً– مصدران، يقال: (مَهَدَهُ مَهْداً وَمِهَاْداً). وقيل: المِهاد جمع مَهْد، مثل: كِعَاب جمع كَعْب، والمَهْد والمِهَاد اسم لما يمهد، فالفرش والفراش اسم لما يفرش. قال الراغب: المَهْد ما تهيّأ للصبي، فقال تعالى: "كَيْفَ نُكَلِّمُ

مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا"(سورة مريم، الآية: 29). والمَهْد والمِهَاد: المكان الممهد الموطأ، قال تعالى: "الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً"(سورة طه، الآية: 53) – و" أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهاداً"[27] (سورة النبأ، الآية: 6).

7- التبادل بين صيغتيْ (فُعْلَة وفَعْلَة)

في قول الله تعالى: "قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ"(سورة البقرة، الآية: 249) اختلفوا في ضم الغين وفتحها من قوله: "غرفة"؛ فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (غَرفة) بفتح الغين، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (غُرفة) بالضم[28]. ويُقرر اليزيديّ أنَّ التميميّن ضمُّوا فاء الكلمة في حين أنَّ الحجازيين فتحوها، قال أهل الحجاز: غَرَفْتُ غَرْفَة، وتميم تقول: غُرْفَة[29]. وسار الحجازيون على القاعدة العامّة التي تحكم اشتقاق هذا النوع من الأسماء من الفعل الثلاثي[30]. ولعلّ بينهما اختلافاً في الدِّلالة في الدلالة وهو أنّ الفتح للتخفيف، أى: مجرد غَرْفَة قليلة؛ أمَّا الغُرفَة بالضمّ فتعني الامتلاء وكثرة الماء؛ فالضمّ يأتي بالثِقل والكثرة.

8- التبادل بين صيغتيْ (فَعْل- فُعُل)

في قوله تعالى: "وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ"(سورة الزخرف الآية: 33) قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو (سَقْفاً) بفتح السين وسكون القاف، وقرأ الباقون (سُقُفاً) بضم السين والقاف[31]. و(سَقْف) على وزن (فَعْل) من الأوزان الثلاثية المجردة في اللغة، يكون في الأسماء، مثل: دَعْد، وكلْب وضَخْم[32]؛ كما أنَّ وزن فُعُل يكون أيضاً في الأسماء، والصفات على حد سواء، نفمن الأول قولهم: عُنُق، ومثال الثاني لفظة (جُنُب) وتعني: البعيد الذي لا ينقاد[33]. ويمكن اعتبار هذا المثال تدليلاً على الإبدال بين صيغ المفرد والجمع حيث ذهب ابن منظور إلى أنّ سُقُف جمع سَقْف، يقول: "السَّقف: غِماء البيت، والجمع سُقُف وسُقُوف، فأمَّا قراءة من قرأ: "لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سَقْفاً من فضَّة"(سورة الزخرف، الآية: 33) فهو واحد يدلّ على الجمع، أى لجعلنا لبيْت كل واحد منهم سقْفاً من فِضَّة.

وساوى الطبريّ بين القراءتين وذهب إلى أنَّهما متفقتان في المعنى، يقول: "والصواب من القول في ذلك عندي، أنَّهما قراءتان متقاربتا المعنى، معروفتان في قرأة الأمصار، فبأيَّتِهما قرأ القارئ فمصيب[34]، ولعلَّ في قراءة (السُّقُف) دلالة على كثرة الغرفات في تلك البيوت.

9- التبادل بين صيغتيْ (فِعْلال و فُعْلال)

في قول الله تعالى: "وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً"(سورة الإسراء، الآية: 35)' قرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف (وزِنُوا بالقِسْطَاس) بكسر القاف حيث كان. وقرأ الباقون (القُسْطَاس) بضم القاف[35]. وذهب الطبريّ إلى أنَّهما لغتان مشهورتان للفظة واحدة ومعنى واحد، قيل هو العدل

بالرومية، وقيل هو الميزان صغُرَ أو كَبُر، وساوى بين القراءتين وحكم بالصواب على من قرأ بأيَّتهما، يقول: "وفيه لغتان: القِسْطاس بكسر القاف، والقُسْطاس بضمِّها، مثل القِرْطاس، والقُرطاس، وبالكسر يقرأ عامَّة قرأة أهل الكوفة، وبالضمّ يقرأ عامَّة قرأة أهل المدينة والبصرة، وقد قرأ به أيضاً بعض قرأة الكوفيين. وبأيَّتهما قرأ القارئ فمصيب؛ لأنَّهُما لغتان مشهورتان، وقراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار."[36]

10- التبادل بين فَعْلَى وفُعَالى

قرأ حمزة والكسائي(سَكْرَى) قوله تعالى: (وَتَرَى النَّاس سَكْرَى وَمَاْ هُمْ بِسَكْرَى) (سورة الحج، الآية:2)على وزن (فَعْلَى) في قوله تعالى: (وَتَرَى النَّاس سُكَارى وَمَاْ هُمْ بسُكَارى) ، تشبيهاً لسَكْرَان بما كان على وزن فَعيل من أسير ونحوه؛ لأَنَّ السكر وقع عليه كالمرض يقع على المريض، وقرأ الجمهور: (سُكَارى) فيهما على وزن (فُعالى)، وقال سيبويْه: وقوم يقولون (سَكْرى) جعلوه مثل مَرْضى، لأنَّهما شيئان يدخلان على الإنسان، وقد حكى سيبويه: رجل سَكِر بمعنى سكران، فيجيء سكرى حينئذ لتأنيث الجمع. وقرأ الحسن والأعرج، وأبو زرعة، وابن جبير، والأعمش: (سُكْرى) بضم السين فيهما. قال أبو الفتح: هو اسم مفرد كالبشري، وقال أبو الفضل الرازي: فُعْلَى بضم الفاء من صفة الواحدة من الإناث، لكنها لما جعلت من صفات الناس وهم جماعة أجريت الجماعة بمنزلة المؤنث الموحد، وعن أبي زرعة أيضاً: (سَكْرَى) بفتح السين، و(بسُكرى) بضمها، وعن ابن جبير أيضاً: (سُكْرى) بالفتح من غير ألف، و(بسُكارى) بالضم والألف[37]. والأقيس أن يكون الجمع (سَكْرى) على وزن (فَعْلى)، وإن كان الأغلب في استعماله أن يُجْمَع على (فُعَالى)؛ فيكون (سُكَارى) جمع سكران: سُكارى؛ فالأصل أن يكون كل ما كان على وزن (فَعْلان) يُجْمَع على (فُعَالى)، ولدلالة اللفظة على عدم النشاط، وعدم القدرة على التصرف تماماً كلفظة (كسلان). فقد جاءت فعلان على وزن فُعالى، وفَعْلى ، وذلك تشبيهاً لسَكْرَان بما كان على فَعِيل من أسير، ونحوه؛ لأنّ السكر وقع عليه كالمرض يقع على المريض؛ فالأوزان متعلقة بتشابه المعاني، ولعلَّ لاستعمال (سُكَارى) في قراءة الجمهور دلالة أكبر من دلالة (سَكرى) من باب زيادة المبنى التي تؤدي إلى زيادة المعنى.

11- التبادل بين الإفراد والجمع (فُعُل- فِعَال)

وهو أن يقرأ واحد أو أكثر من القراء السبعة بالإفراد، ويقرأ الباقون بالجمع، والجمع يشمل الجمع بأنواعه: السالم، والمكسر ما كان للقلة منه أو للكثرة، وهذا الاختلاف ثمرة لظاهرة التبادل بين المفرد والجمع في العربية؛ إذ إنَّ من سنن العرب في كلامها التعبير عن المفرد بالجمع أو العكس.[38]؛ فللجمع دلالة التنوع والكثرة، وقد يدل المفرد المضاف على الجمع؛ بل إن اللفظ المفرد أحياناً يكون أكثر دلالة على الكثرة في بعض أنواعه، بمعنى أنه لو أتينا بالمفرد مضافاً لما بعده فإنَّه يؤدي معنى الكثرة بوضوح وبيان أكثر مما يؤديه الإتيان بجمع المؤنث السالم؛ ففي قول الله تعالى: "وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ"(سورة البقرة، الآية: 283)

قرأ النَّاس (فَرُهُنٌ مقبوضة) و (فَرِهَانٌ مقبوضة) فأمَّا رُهُن فهى قراءة أبي عمرو، وذكر فيه غير واحد أنَّها قرئت: "فَرُهُن" ليُفْصل بين الرِّهان في الخيل، وبين جمع رهن في غيرها، ورُهُن ورِهَان أكثر في اللغة، قال الفرَّاء (رُهُن) جمع رِهان، وقال غيره: "رُهُن ورَهن" مثل: سُقُف وسَقْف. قال أبو عمرو بن العلاء: لا أعرف الرِّهان إلا في الخيل لا غير، وقال يونس الرهن والرِّهان عربيَّان والرّهُن في الرَّهْن أكثر، والرِّهان في الخيل أكثر.[39]، وذهب ابن خالويه إلى أنَّ كلا من (رِهان، ورُهُن) جمع، حيث قال: "والحُجَّة لمن ضم: أنَّه جمع (رَهْنا): (رِهَاناً)، وجمع (رِهَاناً: رُهُناً)، وليس في كلام العرب جمع لاسم على هذا الوزن غير رُهُن وسُقُف. والحُجَّة لمن كسَّر، وأثبت الألف: أنَّه أراد جمع رَهْن"[40].

ورجَّحَ الطبريّ قراءة (رِهَان) بكسر الراء، وفتح الهاء وألف قبل النون، وذهب إلى أنَّ وزن (فِعال) هو جمع كل ما كان على وزن (فَعْل)، يقول: "والذي هو أولى بالصواب في ذلك قِراءة من قرأه: (فَرِهَانٌ مَقْبُوضَة)؛ لأنَّ ذلك الجمع المعروف لمَّا كان من اسم على فَعْل، كما يقال حَبْل وحِبَال وكَعْب وكِعاب، ونحو ذلك من الأسماء، فأمَّا جمع الفَعْل على الفُعُل أو الفُعْل فشاذٌّ قليل، إنَّما جاء في أحرف يسيرة، وقيل سَقْف وسُقُف وسُقْفٌ، وقَلْب وقُلُبٌ وقُلْب من قلب النَّخل، وجدّ وجُدّ، للجدّ الذي هو بمعنى الحظّ، وأمَّا ما جاء من جمع فَعْل على فُعْل نحو:(ثَطٌّ وثُطٌّ، ووَرْد وَوُرد، وجَوْن وجُون)[41].

12- التبادل بين صيغتيْ المثنى والجمع

في قول الله تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"(سورة الحجرات، الآية: 10). قرأ يعقوب وإسكان الخاء وتاء مكسورة على الجمع وروى عبد الوارث عن أبي عمرو أنه ربما قرأها كذلك (بين إخوتكم) وكذلك قرأها الحسن وسعيد بن جبير.[42]، وقرأ الباقون بفتح الهمزة وخاء وياء ساكنة على التثنية[43]، والحجة لمن قرأه بالياء: أنَّه ردَّه على اللفظ لا على المعنى. والحجة لمن قرأه بالتاء: أنَّه ردَّه على المعنى، لا على اللفظ[44]. وقراءة أخويْكم بالتثنية لا تعني أنّ هناك اثنان مقصودان، ولكنها من قبيل التثنية التي يراد بها الجمع؛ فهو حكم عام. قال أبو الفتح: هذه القراءة –يقصد إخوانكم– تدل على أنَّ القراءة العامّة التي هى: (بين أَخَوَيْكُم) لفظها لفظ التثنية، ومعناها الجماعة، أى: كل اثنين فصاعداً من المسلمين اقتتلا فأصلحوا بينهما. ففي القول إذاً شيئان: أحدهما لفظ التثنية يراد به الجماعة، وآخر لفظ الإضافة لمعنى الجنس، وكلاهما قد جاء منه قولهم: لبَّيك وسعديك؛ فليس المراد هنا إجابتيْن ثنتيْن، ولا إسعاديْن اثنين[45].

في المثال السابق وقع الإبدال بين صيغتيْن صرفيتيْن كل منهما تشير إلى عدد معين، فالأولى للإشارة إلى اثنين، والثانية إلى أكثر من ذلك، والمسوّغ الدِّلاليّ لحدوث هذا النوع من الإبدال بين المثنى والجمع هو اشتراكهما الدلاليّ في معنى الجمع–أقصد الضم– وكذا تجاوز الواحد أى تجاوز الإفراد، لذا كان الإبدال بينهما جائزاً ولا يؤدي إلى اعتراض دلاليّ.

ولعلَّ الدلالة في التثنية هنا وهو يريد الطائفة من الفئتيْن المُتقاتلتيْن في بداية الآيات "وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا"(سورة الحجرات، الآية: 9) لعلَّ الدلالة هنا الصلح بين رئيسيْ الطائفتين لأنَّهما إذا اصطلحا فإنَّ الصلح سيعم كل أفراد الطائفتين.

13- التبادل بين المفرد وجمع التكسير وجمع المؤنث السالم:

وذلك في قراءة خَطِيئَاتِكُمْ في قوله تعالى: "نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ" قرأ ابن عامر: (خطيئتكم) بالمفرد، وحجته: أنَّ الواحدة تؤدي عن الجمع[46]، والخطيئة تقع على الصغير وعلى الكبير، فمن وقوعها على الصغير قوله: (والذي أطمعُ أن يغفِرَ لِي خَطيئتِي يوم الدِّين)(سورة الشعراء، الآية: 82) ومن وقوعها على الكبير قوله: (وأحاطت به خطيئته)(سورة البقرة، الآية: 81) وقرأ أبو عمرو: (خَطَايَاكُم) بالجمع جمع تكسير كما تقول: (رعيَّة ورَعَايا، وبريَّة وبَرَايَا، وضَحيَّة وضَحَايَا)، وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة: (خَطِيئَاتِكُمْ) بالجمع (جمع مؤنث سالم) نحو: (سفينة وسفينات، وصحيفة وصحيفات، وخطيئة وخطيئات) على وزن (فعيلات) وهى في موضع نصب. وإنما كُسِرت التاء لأنَّها غير أصلية[47].

والخطايا من الخطأ، أخطأ خطئاً، أى ارتكب الشر من غير قصد، ومنه قوله تعالى: "وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطئاً" (سورة النساء: الآية: 92) وقول النبيّ-صلى الله عليه وسلَّم- "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان" الحديث، وتدور لفظة الخطايا في القرآن الكريم حول هذا المعنى، ومنه قوله تعالى على لسان سحرة فرعون: "إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا ليغْفِر لنا خطايانا" (سورة طه: الآية: 73).

أَمَّا الخطيئات: من خَطِئ خطيئة، وهو ما تعمده الخاطئ من الذَّنب وقصد إلى فعله، ومنه قوله تعالى عن أصحاب نوح: "مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً" (سورة نوح: الآية: 25)، وقوله تعالى: "بَلى من كسب سيئة وأحاطب به خطيئته فأولئك أصحاب النَّار" (سورة البقرة: الآية: 81).[48]

وسبب التبادل إذن بين الإفراد والتثنية والجمع في الأنماط السابقة هو: مرونة اللغة العربية وسعتها، واتصال أجزائها وتلاحمها، وتناسب أوضاعها وتآلفها، وحاجة أهلها إلى التَّصرّف بها، والترجيح في إثباتها، لما يلابسونه ويكثرون استعماله من الكلام المنثورن والشعر الموزون والخطب والسجوع، ولاقتدارهم على كشف أسرار هذه اللغة، ووقوفهم على تذوق جمالها الأخَّاذ، ساعدهم على ذلك إحساس قويّ لا يكاد يشعر به من لم يألف مذاهبهم، ولم يقف على تراثهم الزَّاخر، ولم يدلف إلى روضتهم النضيرة[49].

14- التبادل بين أوزان صيغ المبالغة

في قوله تعالى: "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ"(سورة البقرة، الآية: 143) فقد قرأ الحرميّان وابن عامر وحفص: لرؤوف مهموزاً على وزن رَعُوف أى: فَعُول حيث وقع، وقرأ باقي السبعة بالقصر:

لرؤف مهموزاً على وزن نَدُس، ورَعُف قال الشاعر: يَرى للمسلمين عَليه حقّاً كَحقّ الوالِدِ الرَّؤفِ الرَّحيمِ[50]

وقال الوليد بن عقبة: وشَرُّ الظَّالمين فلا تَكُنْهُ يُقَابِلُ عَمَّهُ الرَّؤفَ الرَّحيمُ.[51]

قال أبو الفتح: "ينبغي أن تكون الهمزة فيه مخففة، فلمَّا أخفاها التخفيف ظُنَّت واواً للطف هذا الموضع أن تضبطه القرَّاء؛ وذلك أنَّا لا نعرف في غير هذه اللفظة إلا الهمز. يقال: رؤفَ به، ورأف به، ورئِفَ، ولم نسمع فيه راف، ولا رُفْتُ . والهمزة إذا خُفِّفت في نحو هذا لم تبدَل، وإنَّما تُخْفَى، كقولك في سَئول، فَعول من سألت: سؤول."[52]؛ "فقد تُحَوَّل صيغة فاعل للدلالة على الكثرة والمبالغة في الحدث، إلى أوزان خمسة مشهورة، تسمَّى صيغ المبالغة، وهى: فَعَّال، ومِفْعال، وفعول، وفعيل، وفَعِل. وقد سُمِعت ألفاظ للمبالغة غير تلك الخمسة، منها: فِعِّيل: بكسر الفاء وتشديد العين مكسور، ومِفْعِيل، وفُعَلَة، وفَاعول، وفُعال، وفُعَّال"[53].

اتَّضح من المثال السابق تبادل صيغتيْ المبالغة فَعُول وفَعُل وقيام إحداهما مقام الأخرى، يقول الطبري: "وفي (الرؤوف) لغات إحداها (رؤف) على مثال (فَعُل)، كما قال الوليد بن عُقْبَة: وشرّ الطَّالبين –ولا تكنه– بقاتل عمه، الرّؤف الرحيم. وهى قراءة عامّة قراء أهل الكوفة. والأخرى (رؤوف) على مثال (فعول)، وهى قراءة عامّة قرَّاء المدينة، ورئف وهى لغة غطفان، على مثال فَعِل مثل حَذِر، و (رأف) على مثال فَعَل بجزم العين، وهى لغة لبني أسد. والقراءة على أحد الوجهين الأوَّلين"[54].

ثانياً: التبادل بين صيغ الأفعال:

أ- التبادل بين فَعَلَ وفَعِلَ

والصيغتان (فَعَلَ) و(فَعِل): يجيئان متعديين وغير متعديين(لازمين)؛ فالمتعدي منهما: ضرَبَ وعَلِمَ، وغير المتعدِّي، قَعَدَ، وأَشِر[55]، ومن ذلك قراءة الفعل (بَرِقَ) في قول الله تعالى: "فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ"(سورة القيامة، الآية: 7)، قرأ الجمهور: (بَرِقَ) بكسر الرَّاء، وقرأ زيد بن ثابت ونصر بن عاصم وعبد الله بن اسحاق وأبو حيوة وابن أبي عبلة والزعفراني وابن مقسم ونافع وزيد بن علي، وأبان عن عاصم وهارون، ومحبوب كلاهما عن أبي عمرو، والحسن والجحدري بخلاف عنهما بفتح الراء (بَرَقَ).قال أبو عبيدة: بَرَقَ بالفتح شقّ[56]. وفسر البعض اللفظتين بمعنى الحيرة فقيل: "وهما لغتان في التحيّر والدهشة"[57]. وقيل: هما لغتان بمعنى: (حار)"[58] وفي معنى الفزع أورد ابن زنجله قول الشاعر:

فنفسك فانع ولا تنعني وداو الكلوم ولا تبرَق[59]

أى: لا تفزع من هول الجراح. أمَّا (بَرَق) بالفتح فلا يكون إلا الضياء وظهوره كقولهم: برق الصبح[60]. وذهب اللغويون إلى أنهما بمعنى واحد– كما ذكرنا– وهو: تحيَّر النَّاظر عند الموت، "والعرب تقول: (لكل داخل برقة): أى: دهشة وحيرة"[61].

أمَّا عن المعنى اللغوي، فالمتفق عليه أنّ الفعل بفتح الراء يعني الظهور واللمعان: "فالبرْق معروف، وبرقت السَّماء برقاً وبرقاناً أيضاً: ظهر منها البرق، وبرق الرَّجل وأبرق: وعد بالشرّ"[62]، ومن معاني صيغة (فَعِل): الدلالة على الألوان ، نحو: أدِم، وشهِب، وصدِئ، والدلالة على الأدواء، نحو: وجِع، ومرِضَ، وسَقِمَ، وللدلالة على الخوف والفزع، نحو: فَزِع، ووجِلَ، وكذا للدلالة على الجوع والعطش، نحو: عطِش، وظمِئ، وشبِع وروِى[63].

تبادلت الصيغتان (فَعَلَ) و(فَعِلَ) في الفعل (برق) فهو بفتح الراء وبكسرها لغتان بمعنى واحد هو الحيْرة والدَّهشة، وفرَّق البعض بينهما فذهبوا إلى أنَّ برِق بالكسر تعني شخوص البصر، وبالفتح تعني الحيرة. واختار الطبريّ قراءة (فعِل) بالكسر، يقول: "وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب كسر الراء (فإذا برق) بمعنى: فزع فشقّ وفتح من هول القيامة وفزع الموت."[64]

ب–التبادل بين فَعَلَ وفَعُلَ

وأمَّا وزن (فعُلَ) فلا يكون إلا لازماً، "ولا يتعدَّى البتَّة، نحو: ظرُفَ، وشَرُفَ"[65] ووقع التبادل بين الوزنيْن في قراءة الفعل (عَبَدَ) في قوله –عزَّ وجلَّ–: "قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ"(سورة المائدة، الآية: 60)، قرأ جمهور السبعة: (وعبَد الطاغوت)، وقرأ أُبَيّ (وعبَدوا الطَّاغوت)، وقرأ الحسن في رواية (وعَبْد الطاغوت) بإسكان الباء. وقرأ ابن مسعود في رواية (وَعَبُدَ) بضم الباء نحو: شَرُفَ الرَّجل، أى: صار له عبد[66]. واختار الزجّاج قراءة (وعَبَد الطاغوت) يقول: "والطاغوت: هو الشيطان، وتأويل (وعَبَدَ الطاغوت):أطاعه فيما سوَّل له وأغراه به.....والذي أختار (وعَبَد الطاغوت)" وأورد قراءة ضم الباء: "ومن قال: (وعَبُدَ الطاغوت) فضمّ الباء وجرَّ الطاغوت، فإنّه عند بعض أهل العربية ليس بالوجه من جهتين إحداهما، أنَّ عَبُد على فَعُلٍ، وليس هذا من أمثلة الجمع، لأنَّهم فسَّروه خَدَمُ الطاغوت، والثاني أن يكون محمولا على وجعل منهم عَبُدَ الطَّاغوتِ"[67]، وذكر ابن مالك في شرح التسهيل معان عدة للوزن (فَعَل) هى: غلبة المقابل، والنيابة عن فعُل في المضاعف واليائي العين، والجمع والتفريق، والإعطاء، والمنع، والامتناع، والإيذاء، والغلبة، والتحويل، والاستقرار، والسير، والستر، والتجريد، والرمي، والإصلاح، والتصويت[68]. وذكر سيبويه عدة معان لوزن (فعُل) هى: الحسن أو القبح، وذلك نحو: قَبُحَ يقْبُح، وجمُلَ يجمُل، وكذلك الصغر والكبر، نحو: عظُمَ، وصغُر، وقدُم وكثُر، والشدَّة والضّعف، والجرأة والجبن، نحو: ضعُف، وشجُعَ، وجرُؤ، وسهُل، وصعُب، وكذا معاني الرِّفعة والضِّعة، نحو: شرُفَ، وكرُم، وما أتى من العقل، نحو حلُمَ، رفُقَ، رزُن، وحمُقَ[69].

وقراءة (عَبُد) بضم الباء (عين الفعل) بوزن (فَعُل) بمعنى عظُمَ وشَرُفَ أى: صار له عبد، وهو من الدلالات التي ذكرها سيبويْه في كتابه حيث ذهب إلى أنّ الفعل على وزن فَعُل يدل على الكِبَر والعِظَم. وحكم الطبريّ على القراءتين (عَبَدَ وعَبُد) بالصحّة، وأنَّهما أصحّ مخرجاً في العربية من غيرهما، مرجحاً قراءة (فَعَلَ) يقول: "وأمَّا قراءة القرأة، فبأحد الوجهين اللذين بدأت بذكرهما وهو (عبَدَ الطاغوت) بنصب الطاغوت وإعمال (عبد) فيه، وتوجيه عبد إلى أنَّه فعل ماض من العبادة. والآخر: (وعَبُد الطاغوت) على مثال (فَعُل) وخفض الطاغوت بإضافة (عبُد) إليه"[70].

ج- التبادل بين فَعَلَ وفُعِلَ

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: **"وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ"**(سورة التكوير، الآيتان: 8، 9) قرأ الجمهور: (سُئِلَت) مبنياً للمفعول، (بأىّ ذنب قُتِلَت) كذلك وخفَّ الياء وبتاء التأنيث فيهما، وهذا السؤال هو لتوبيخ الفاعلين للوأد، سؤالها يؤول إلى سؤال الفاعلين، وجاء (قُتِلَت) بناء على أن الكلام إخبار عنها[71]. وقرأ ابن مسعود، وعليّ، وابن عبَّاس وجابر بن زيد، وأبو الضحى ومجاهد (سَأَلَت) مبنياً للفاعل (قُتِلَت) بسكون اللام وضم التاء حكاية لكلامها حين سئلت[72]. والموؤودة: التي كانت العرب تئدها، كانوا إذا وُلِدَ لأحدهم بنت دفنها حيَّة، فمعنى سؤالها بأىّ ذنب قتلت تبكيتُ قاتلها في القيامة لأنَّ جوابها قُتِلتُ بغير ذنب، نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى: (أأنت قلتَ للنَّاس) إلى قوله: (سبحانَك ما يكونُ لي أنْ أقولَ ما ليسَ لي بحق) (سورة المائدة، الآية: 116) [73].

ويمكن القول بأنَّ التبادل بين الصيغتيْن يعد تبادلاً بين البناء للفاعل وللمفعول (للمعلوم والمجهول)، فسَأَلَت مبنيّ للفاعل، وسُئِلَت مبنيّ للمفعول. يقول الطبريّ: "والقول الأوَّل- يقصِد سُئِلَت- عليه الجمهور، وهو مثل قوله تعالى لعيسى: "أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ"، على جهة التوبيخ والتبكيت لهم، فكذلك سؤال الموؤودة توبيخ لوائدها، وهو أبلغ من سؤالها عن قتلها؛ لأنَّ هذا ممّا لا يصح إلا بذنب، فبأىّ ذنب كان ذلك، فإذا ظهر أنَّه لا ذنب لها، كان أعظم في البليّة وظهور الحجَّة على قاتلها. فأولى القراءتين إذن بالصَّواب قراءة من قرأ (سُئلت) بضم السين (بأى ذنب قُتِلَت) على وجه الخبر، لإجماع الحُجَّة من القرأة عليه[74].

د- التبادل بين صيغتىْ فَعَل وفعَّل

وتتمثل هذه الظاهرة في وقوع التبادل بين (فَعَلَ) الثلاثي المجرّد مفتوح العين، ووزن (فعَّلَ) الثلاثي المزيد بحرف واحد هو التضعيف، وذكر ابن يعيش خمسة من المعاني لهذا الوزن هى: الكثرة: نحو قول الله تعالى: (وَفَجَّرْنَاْ الأَرْضَ عُيُونا)(سورة القمر، الآية: 12)، وهذا المعنى هو أكثر المعاني التي عبّر عنها وزن (فَعَّلَ). التعدية: وذلك نحو قولنا: فرَّحتُ زيْداً من الفعل اللازم فَرِحَ زَيْدٌ، والإزالة: وذلك نحو قولهم: قَذَّيتُ عينه، أى: أزلتُ قذاها،

والدعاء: وذلك نحو قولنا: سقَّيْته، أى:قلت له (سقاك الله)، والتسمية أى: أن تنسب إلى أصل الفعل: كما نقول: (خطَّأَ فلانٌ فلاناً، وفسَّقه) أى نسب إليه الخطأ، والفسق[75]؛ ففي قوله تعالى: (وَفَرَضْنَاهَا) قرأ جمهور النَّاس بتخفيف الرَّاء، ومعناه الإثبات والإيجاب بأبلغ وجوهه إذ هو مشبّه بالفرض في الأجرام. وقرأ مجاهد وغيره وأبو عمرو، وابن كثير[76] وعمر بن عبد العزيز، وابن مسعود: (وَفَرَّضْنَاهاْ) بشد الراء، ومعناه جعلناها فرائض فرائض. وقرأ الأعمش (وفَرَضْنَاها لكم)، وحكى الزهراوي عن بعض العلماء أنَّه قال: كل ما في السورة من أمر ونهى فرض لا حض بهذه اللفظة[77]. وقد أفاد هنا وزن فعّل (فرّض) معنى الزيادة والتكثير، والدليل على ذلك قول ابن عطية:"ضعّف الفعل للمبالغة والتكثير"[78] وأما التشديد فمعناه فصَّلناه وبَّيناه. وقال الرازي: المختار عندنا أن اشتباه الضاد بالظاء لا يبطل الصلاة، ويدل عليه أن المشابهة حاصلة فيهما جداً والتمييز عسير؛ فوجب أن يسقط التكليف بالفرق.[79]، وقراءة التَّضعيف تؤدي إلى زيادة الدلالة وبالتالي إلى اتساع المعنى؛ ففيها معنى المبالغة والتكثير في الفرض؛ تأكيداً ومبالغة في بيان الحلال والحرام. واشتهر معنى المبالغة أو التكثير لصيغة (فعّل) بالتضعيف –قولا واحداً–؛ بينما تطلق (فَعَل) بالتخفيف على القليل، أو لما يصدق فيه القليل والكثير. والغالب في فعّل غرض المبالغة، تماماً كغرض التعدية في وزن (أَفْعَل)، فلا تطلق (فعَّل) على ما لا يتصور فيه معنى التكثير، فنقول مثلاً: ذبحت الشاة، ولا نقول: ذبَّحت الشاة، فإن صلُح فيه التكثير، كان تأكيده بالتضعيف، فإن خففت احتمل الوجهين ومثاله: جَرَحته، وجرَّحته؛ فكثرة الأوَّل محتملة ، وكثرة الثاني قطعية. ويكون التكثير في المتعدي مثل: فتَّح، وقطَّع، وفي اللازم مثل: جَوَّل، وطَوَّف[80].

وقد ساوى الطبريّ في تفسيره بين القراءتين المضعّفة الراء والمخفَّفة (فَرَضَ وفَرَّض) يقول: "والصواب من القول في ذلك، أنَّهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرَّاء، فبأيَّتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أنَّ الله قد فصلها، وأنزل فيها ضروباً من الأحكام، وأمر فيها ونهى، وفرض على عباده فيها فرائض، ففيها المعنيان كلاهما: التَّفْريض، والفَرْض، فلذلك قلنا بأيَّة القراءتين قرأ القارئ فمصيب الصَّواب"[81].

هـ – التبادل بين فُعِلَ وفُعِّلَ

في قول الله تعالى: "لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ"(سورة الحجر، الآية: 15) قُرئ الفعل (سُكِّرَت) سُكِرَت أى: بتخفيف الكاف وبتضعيفها، وقرأ الحسن ومجاهد وابن كثير سُكِرت بتخفيف الكاف مبنياً للمفعول. وقرأ باقي السبعة بشدِّها مبنياً للمفعول (سُكِّرَت). وقرأ الزهريّ بفتح السين وكسر الكاف مخففة مبنياً للفاعل، شبَّهوا رؤية أبصارهم برؤية السكران لقلّة تصوّره ما يراه، فأمَّا قراءة التشديد، فعن ابن عبَّاس وقتادة منعت عن رؤية الحقيقة من السِّكْر بكسر السين وهو الشد والحبس، وعن الضحاك شدت، وعن جوهر: جدعت، وعن مجاهد: حبست؛ وأمَّا قراءة التخفيف فقيل بالتشديد إلا أنَّه للتكثير، والتخفيف يؤدي عن معناه، وقيل: معنى التشديد أُخِذَت، ومعنى التخفيف سُحِرَت، والمشهور أنَّ سَكَرَ لا يتعدى[82]، وقيل في معنى (سُكِّرَت): هو من السَّكْر، وقيل: هو من السُّكْر، وليلةٌ ساكرة أى: ساكنة اعتباراً بالسكون العارض من السُّكر[83].

وقد دارت الصيغتان حول معنيين متقاربين دلالياً هما: الحبس والمنع لقراءة التشديد والغطاء والغشاء الذي يعني الحبس أيضاً لقراءة التخفيف. وأكَّد الطبريّ هذا التقارب في المعنى مرجِّحا مع ذلك قراءة التشديد، يقول: "فإنَّ معنى سُكِرت وسُكِّرَت بالتخفيف والتَّشديد متقاربان، غير أنَّ القراءة التي لا أستجيز غيرها في القرآن (سُكِّرَت) بالتَّشديد لإجماع الحجة من القُرَّاء عليها، وغير جائز خلافها فيما جاءت به مجمعة عليه."[84]

و- التبادل بين صيغتيْ فُعِل وفُعِّلَ

في قول الله -عزَّ وجلَّ-: "حَتَّى إِذَآ اسْتَيْأَسَ الرُّسُل وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا"(سورة يوسف، الآية: 110) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والحسن وعائشة -بخلاف- وعيسى وقتادة ومحمد بن كعب والأعرج وأبو رجاء، وابن أبي مليكة (كُذِّبوا) بتشديد الذال وضم الكاف، وكسر الذال وتخفيفها (كُذِبوا) وهى قراءة عليّ بن أبي طالب وأبيّ بن كعب وابن مسعود وابن عبّاس ومجاهد وطلحة والأعمش وابن جبير ومسروق والضحاك وإبراهيم، وأبي جعفر، وهاتان القراءتان بتخفيف الذال أو بتشديدها على البناء للمفعول؛ فالضمائر على قراءة التشديد عائدة كلها على الرسل، والمعنى أن الرسل أيقنوا أنهم كذّبَهم قومهم المشركون.[85] وعلى قراءة التخفيف فالضمير في (وظَنُّوا) عائد على المرسل إليهم لتقدمهم في الذكر في قوله: (كَيْفَ كَانَ عَاقِبَة الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) ولأنّ الرسل تستدعي مرسلاً إليهم، وفي (أَنَّهُم) وفي (قَد كذبوا) عائد على الرسل، والمعنى: وظنّ المرسل إليهم أنّ الرسل قد كذبهم من ادعوا أنه جاءهم بالوحى عن الله ، وبنصرهم إذ لم يؤمنوا به، ويجوز في هذه القراءة أن تكون الضمائر الثلاثة عائدة على المرسل إليهم، أى: وظنّ المرسل إليهم أنهم قد كذبهم الرسل فيما ادّعوه من النبوة وفيما يوعدون به من لم يؤمن بهم من العذاب[86]. وكُذِبوا بالتخفيف من قولنا: (كَذَبْتُكَ الحديث) أى لم أصدقك. وفي التنزيل: "وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَه"[87]

ز- التبادل بين فَعَل وأَفْعَلَ

ويستعمل وزن الفعل (أفعل) متعدياً ولازماً؛ "فالمتعدي كـ(أكرم)، وغير المتعدي كـ (أَخْطَأَ)، ولها أحد عشر معنى: الجَعْل، والهُجوم، والضِّياء، ونَفْى الغريزة، والتَّسمية، والدُّعاء، والتَّعريض، وبمعنى: (صار صاحِب كذا)، والاستحقاق، والوجود، والوصول"[88]. ومن معانيه كفعل لازم: الاستحقاق: "ومثل هذا أصرَم النّخل وأمْضَغَ، وأحْصَدَ الزرع، وأجَزَّ النَّخل، وأَقْطَع، أى استحقَّ أن تُفْعَل به هذه الأشياء"، ومنه دلالة صيرورة الصحبة، أى: صار صاحب كذا"تقول أجرَبَ الرجلُ وأنحزَ وأحالَ، أى صار صاحب جرَب وحيال ونحاز في ماله، ومثل ذلك قول الرَّجل: ألام الرجل، أى: صار صاحب لائمة"[89] ومن معاني أفعل المتعدي: معنى الجعل: أى جعلته يفعل، "تقول دخل وخرج وجلس، فإذا أخبرت أن غيره صيَّره إلى شيء من هذا قلت: أخرجه، وأدخله، وأجلسه"[90]، ومن ذلك قول الله تعالى: "فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا"(سورة النساء، الآية: 88) قرأ عبد الله (رَكَسَهُم) ثلاثياً، وقرِئ (ركَّسهم) ركسوا فيها

بالتشديد، قال الرَّاغب: الرَّكس والنَّكْس الرّذل، والرَّكس أبلغ من النَّكس؛ لأنَّ النَّكس ما جعل أسفله أعلاه، والرَّكس أصله ما رجع رجيعاً بعد أن كان طعاماً، فهو كالرجس، وصف أعمالهم به، وأركسه أبلغ من ركسه، كما أنّ أسقاه أبلغ من سقاه[91]. ويقول: "الرَّكْس: قلب الشيء على رأسه، ورد أوّله إلى آخره، يقال: أَرْكَسْتُهُ فَرَكَسَ، وَارْتَكَسَ فِي أَمْرِهِ، فقوله: "أَرْكَسَهُم" أى: ردَّهم إلى كفرهم[92].

فالإركاس إذن هو: الردّ، ويقال منه أيضاً أركَسَهم ورَكَسَهُم، أى أنَّ الله- عزَّ وجلَّ- قد أهلكهم بما فعلوا[93]. وكما تقدَّمَ فقد يجيء فعلت وأفعلت بمعنى واحد في البنيتين، إلا أنَّ اللغتين قد اختلفتا، فيجيء به قوم على (فَعَلَت) ويلحق قوم فيه الألف، فيبنونه على أفعلت[94]. وهو ما حدث في القراءة السابقة، وتبادلت الصيغتان بمعنى واحد، أبلغهما الثلاثي، "فحيث كان للمعنى الواحد كلمتان ثلاثية ورباعية، ولا مرجع لاحداهما على الأخرى، كان العدول إلى الرباعية عدولاً عن الأفصح"[95]

ح- التبادل بين صيغتيْ فَعَلَ وافْتَعَلَ

و(افْتَعَلَ) تكون متعدِّية وغير مُتعدِّية، فالمُتَعَدِّيَة نحو: اكتَسَب، واقْتَلَعَ، وغير المتعدية نحو: افْتَقَر، واسْتَقَى"[96]، ويأتي وزن (اِفْتَعَلَ) لمعانٍ متعددة منها: المطاوعة: وهو أكثر المعاني التي يأتي عليها هذا الوزن، نحو: جمع الشيء فاجتمع، والتَّصَرُّف أو ما يعرف بالتسبب والاجتهاد، وذلك نحو: اكتسب، والاتخاذ: فإذا قلنا اشتوى واحتبس فمعناه اتخذ شواء وحبيساً، والانتقاء، أوالتخير: كقولنا: انتقى واصطفى، وانتخب، وبمعنى(فَعَلَ): كقولنا اقتدر بمعنى: قَدَرَ، وبمعنى تفاعل: كقولنا: اشتور بمعنى: تشاورَ، واجتور، بمعنى: تجاور، وبمعنى استفعلَ: اعتصمَ بمعنى استعصم. وبمعنى تَفَعَّلَ نحو: ابتسمَ بمعنى تَبَسَّمَ، والإغناء عن فعل كاستلم الحجر، جاء في الارتشاف: وأكثر بناء افتعل من المتعدي.[97] ومن ذلك قوله تعالى: "قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا"(سورة الكهف، الآية: 81) و"لتخذت واتخذت" واحد"[98] قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (لَتَخِذْتَ) بتخفيف التاء وكسر الخاء، وحجتهما أنَّ أصل هذا الفعل من تَخِذَ يَتْخَذْ تخذاً؛ فالتاء فاء الفعل، على وزن افتعل من تخذ وأدغم التاء في التاء، فقرأ أبو عمرو على أصل بنية الفعل من غير زيادة. "والتاء أصل عند البصريين وليس من الأخذ، وزعم بعضهم أنَّ الاتخاذ افتعال من الأخذ، وأنَّهم ظنوا التاء أصلية فقالوا في الثلاثي تخذ، كما قالوا تقى من اتَّقى[99]. وقرأ الباقون: (لاتَّخَذْت) بفتح الخاء على (افْتَعَلْتَ). فقراءة (لَتَخِذْتَ) (لغة في أَخَذَ): إذا عمل شيئاً، ومعناه: لو تخِذت شيئاً على عملك، وهو رفع الجدار وإقامته. وقراءة (لاتَّخَذت) تجوز أن تكون: من تَخِذ على افتعل، وهو الذي رجَّحه البحث، وعليه تمّ ادخاله في هذا التصنيف، أو يكون من الأَخْذ، أو يكون من وَخَذَ وهو لغة في أَخَذَ.

ط- التبادل بين صيغتيْ (فَعَل) و (فَاعَل)

وتكون صيغة (فَاعَلَ) متعدّية، نحو ضاربتُ وشاتمتُ، وتكون لازمة، نحو: سافرَ، وأكثر ما تجيء من اثنين، نحو ضاربْتُ، وقاتَلْتُ، و تكون من واحد، نحو: سافَرَ، وعاقَبتُ اللّصّ، وطارَقَ النَّعْل"[100]؛ ففي قوله تعالى: "أَوْ

لَامَسْتُم النِّسَاءَ"(سورة النساء، الآية: 43)، وقُرِأَت: "أَوْ لَمَسْتُم النِّسَاءَ"[101]، قرأ حمزة والكسائي" أو لَمَسْتُم النساء" بغير ألف[102]. فقد جعلا الفعل للرجال دون النسَّاء. وحجتهما: أنَّ اللمس ما دون الجماع كالقبلة والغمزة. عن ابن عمر: (اللمس ما دون الجماع) أراد اللمس باليد، وهذا مذهب ابن مسعود، وسعيد بن جبير، وإبراهيم، والزهري.[103]

وقرا الباقون وهم ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم: "أو لامستم" بالألف أى: جامعتم.[104]، والملامسة لا تكون إلا من اثنين: الرجل يلامس المرأة، والمرأة تلامس الرجل.وحجتهم ما روى في التفسير: قال عليّ بن أبي طالب –رضى الله عنه–: قوله: "لامستم النِساء" أى: جامعتم، ولكنَّ الله يكني"[105]

ي- التبادل بين فُعِلَ وفَاعَلَ

ووقع في الفعل (قَاتَلَ) الذي قُرِئ (قُتِلَ) في قول الله تعالى:"وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ"(سورة آل عمران، الآية: 146) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (قُتِلَ معه). وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: (قَاتَلَ)[106]. قال ابن عطية: قراءة من قرأ (قاتل) أعم في المدح؛ لأنه يدخل فيها من قتل ومن بقى، كما أنَّه أسند الفعل إلى الربيين على هذه القراءة، وأسنده في قراءة (قتل) إسناده إلى نبيّ. ويصف أبو حيَّان قراءة (فُعِل) بالبلاغة والفصاحة؛ لأنَّها أكثر دلالة على تجسيد القتل، يقول: "و(قتل) مدح، وهى أبلغ في مقصود الخطاب، لأنَّها نص في وقوع القتل، ويستلزم المقاتلة، وقاتل لا تدلّ على المقاتلة، إذ لا يلزم من المقاتلة وجد القتل، وقد تكون مقاتلة ولا يقع قتل"[107].

ك- التبادل بين فاعَلَ وفَعَّلَ

ومن ذلك قراءة (عاقَبْتُم) و (عَقَّبْتُم) في قول الله تعالى: "وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ"(سورة الممتحنة، الآية:11) قرأ الجمهور: فعاقبتم بألف. وقرأ مجاهد والزهري، والأعرج ، وعكرمة، وحميد وأبو حيوة والزعفراني بشدّ القاف، والنخعّي وابن وثاب بخلاف عنه بتخفيف القاف مفتوحة، ومسروق بكسرها. فأعقبتم على وزن أفعل يقال: عاقب الرجل صاحبه في كذا، أى: جاء فعل كل واحد منهما يعقب فعل الآخر.[108]، وعَقَبَ: أصاب عُقْبَى، والتَّعْقِيب غزو إثر غزو، وعقب بفتح القاف وكسرها مخففاً. وفَعَّلَ يأتي لازماً ومتعدياً، فمثال المتعدي: كسَّر، وقَطَّعَ، ومثال اللازم: سَبَّحَ، وهَلَّلَ، أمّا عن معانيه فله معان ثمانية، هى: النَّقل، والتكثير، والجعل، والتسمية، والدُّعاء، والقيام على الشيء، والإزالة، وأن يراد بها رميته بذلك[109].

والفعل السابق(عاقبتم) تفسيران: أحدهما : أنَّه من العقوبة، والمعنى: "أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم"[110].

والثاني: أنَّه من العقبة – وهى النوبة– كما أوضحنا[111]. ومعنى (فعقَّبتم): فهو من عقِبَه إذا قفاه، لأنَّ كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه، وكذلك عَقَبتم بالتخفيف يقال: عقَبَه يعقُبُه[112]. وهناك أفعال جاءت على هذين الوزنين نحو: ضَعَّفَ وضَاعَفَ، وصَعَّرَ وصَاعَرَ، فإن اختلف هذان الوزنان واتفق المعنى فالمفاعلة تكون لهجة الحجاز، والتفعيل لهجة بني تميم؛ فالتميميين أكثر ميلاً إلى التضعيف من الحجازيين[113]. والتفعيل والمفاعلة متقاربان في المعنى، وهو ما ذهب إليه الطبريّ، يقول: "(فَعَقَّبتم) على مثال (فَعَّلتم) مشَدَّدة القاف، وهما في اختلاف الألفاظ بهما نظير قوله (ولا تُصَعِّر خَدَّك للنَّاس)(سورة لقمان، الآية: 18)، وتصاعر مع تقارب معانيهما."[114]

ل– التبادل بين يُفْعِل ويَفَّاعَل

ومنه قول الله– عزَّ وجلَّ– "وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ"(سورة النساء، الآية: 128)، ففي الآية السابقة قرِئ الفعل (يُصْلِحا) بالتخفيف، وبالتشديد (يصَّالَحا) والصَّلاح ضدُّ الفسادِ، وهما مختصَّان بالأفعال، قوبل في القرآن بالفساد تارة ، وبالسيِّئة تارة أخرى، والصُّلح يختصّ بإزالة النِّفَار بين النَّاس، يقال: اصطلحوا، وتصالحوا. قرأ الكوفيون (يُصْلِحا) من أصلح على وزن أكرم.وقرأ باقي السبعة (يصَّالَحا) وأصله يتصالحا، وأدغمت التاء في الصاد[115]. وقرأ عبيدة السلماني (يُصَالِحَا) من المفاعلة، وقرأ الأعمش (أَنْ اصَّالَحَا) وهى قراءة ابن مسعود، جعل ماضياً، وأصله تَصَالَحَ على وزن تفاعل، فأدغم التاء في الصاد، واجتلبت همزة الوصل، والُّصلْح ليس مصدر الشيء من هذه الأفعال، فإن كان اسماً لما يصلح به كالعطاء والكرامة مع أعطيت وأكرمت، فيحتمل أن يكون انتصابه على إسقاط حرف الجر، أى: يصلح أى بشيء يصطلحان عليه، ويجوز أن يكون مصدراً لهذه الأفعال على حرف الزوائد[116].

ويدلِّل الطبري على أنَّ أصحّ القراءتين عنده قراءة (يُصْلِحا) بتخفيف الصاد بقوله: "وأعجب القراءتين في ذلك إلىَّ قراءة من قرأ: (أن يصَّالحا بينهما صُلْحاً) بفتح الياء وتشديد الصاد ، بمعنى: يتصالحا؛ لأنَّ التصالح في هذا الموضع أشهر وأوضح معنى، وأفصح وأكثر على ألسن العرب، من الإصلاح، والإصلاح في خلاف الإفساد أشهر منه في معنى التَّصالح.فإن ظنَّ ظانّ أنَّ في قوله: (صُلْحاً) دلالة على أنّ قراءة من قرأ ذلك (يُصْلِحا) بضم الياء أولى بالصواب. فإنَّ الأمر في ذلك بخلاف ما ظنّ؛ وذلك أنّ الصُّلح اسم وليس بفعل فيستدلّ به على أولى القراءتين بالصواب في قوله: (يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً)[116].

م– التبادل بين يَفْعَل ويَفَّعَّل ويَفَّاعَل

وتبادلت الصيغتان في القراءات القرآنية الواردة في تفسير الطبري، ومنه قراءة الفعل (يَصَّعَّد) و(يَصَّاعَد) في قوله تعالى: "فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ"(سورة الأنعام، الآية: 125) قرأ ابن كثير (يَصْعَد) مضارع

(صَعَدَ)، وقرأ أبو بكر (يَصَّاعَد) بألف مشدَّدة الصاد، أصله (يتصاعد) فأُدغِم. وقرأ باقي السبعة (يَصَّعَّد) بتشديد الصاد والعين بغير ألف – وأصله يتصعَّد– وبهذا قرأ عبد الله ، وابن مصرف، والأعمش[117].

وفي القراءة السابقة وردت ثلاث صور للفعل (يَصْعَد) هى الصيغة السابقة، و(يَصَّعَّد) و(يَصَّاعَد) بوزن (يَفْعَل) و(يَفَّعَّل) و(يَفَّاعَل). واختار الطبريّ الوزن الثاني، وهو قراءة (يَصَّعَّد) بتشديد الصاد والعين، غير أنّه لم يهمل القراءات الأخرى بل ذكر أن معانيها متقاربة وبأيها قرأ القارئ فهو مصيب، يقول: "وكل هذه القراءات متقاربات المعاني، وبأيّهَا قرأ القارئ فهو مصيب، غير أنِّي أختار القراءة في ذلك بقراءة من قرأه: (كأنَّما يَصَّعَّد) بتشديد الصاد بغير ألف، بمعنى يتَصَعَّدَ، لكثرة القرأة بها، ولِقِيل عمر بن الخطَّاب– رضي الله عنه–: ما تَصَعَّدَني شيء ما تَصَعَّدَتني خطبة النِّكَاح.[118]

الخاتمة ونتائج البحث:

وبعد فقد هدفت هذه الدراسة إلى معالجة قضية الاختلاف في البُنى الصرفية الاسمية منها والفعلية في القراءات الواردة في تفسير الطبريّ مع بيان العلاقة بين الصيغ الصرفية المختلفة وبين المعنى الوظيفي لها مع ما يتصل بها من المعاني المختلفة. وذلك للتعرُّف على الاختلافات الصرفية ومدى تأثيرها في معاني الآيات القرآنية، والحكمة من تعدد الصيغ الصرفية في القراءات القرآنية؛ فاختلاف الصيغ الصرفية في القراءات يؤدي إلى اختلاف المعاني الوظيفية للآيات القرآنية؛ هذا الاختلاف لا يؤدي مطلقاً إلى أى نوع من التناقض بين القراءات القرآنية.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج هى:

(1) تنوع القراءات القرآنية وتنوّع التوجيهات لها سواء كانت– صوتية أم صرفية أم نحوية أم دلالية– له قيمته في توجيه النَّصّ القرآنيّ وتنوّع معانيه.

(2) اشتملت اللغة العربية الفصحى على كثير من اللغات (أقصد اللهجات)، وقد أوضحت الدراسة أن القراءات قد حافظت على الكثير منها.

(3) تعدّ الصلة بين القراءات القرآنية والمستوى الصَّرفي أقوى منها في المستويات الأخرى؛ فالقراءات القرآنية تتضمَّن العلاقات المختلفة بين الأبنية الصَّرفيَّة، كما أنها تمثل العديد من لهجات العرب، وموضوعات الصَّرف هي نفسها موضوعات القراءات؛ لأنّ الأوّل يدرس أبنية الكلم ووظائفها الصرفيَّة، واللواصق المتصلة بها، وما يطرأ عليها من إعلالٍ، أو إبدال، أو إدغامٍ، أو تخفيفٍ وتشديدٍ، أو زيادة وحذفٍ، أو وقفٍ، واختلافات القرَّاء تتناول الظواهر نفسها، لذا فالصَّرف والقراءات يتناولان بنية الكلمة وقيمتها الصَّرفيَّة في التركيب، ومن هنا كانت القراءات مصدرًا رئيسًا من مصادر الدرس الصَّرفي.

(4) رصدت الدراسة اثنين وثلاثين وثلاثمائة (332) مثالاً للمستوى الصَّرفيّ تمثِّل (42.72%) من الأمثلة الواردة للقراءات القرآنية في تفسير الطبري، انقسمت وتوزَّعت على سبعة أنماط، كالتَّالي:

– التَّبادل بين صيغ الأفعال: وبلغ عدد الأمثلة في هذا الباب مائة وخمسة وستين (165) مثالاً تُمَثِّل التَّبادل بين الأبنية المختلفة للأفعال، وهو بذلك يعد أكثر الأنماط الصرفية وروداً في أمثلة هذا المستوى، حيث بلغت نسبة وروده إلى أمثلة الصرف (49.69%).

– التَّبادل بين صيغ الأسماء: ووردت هذه الأمثلة بنسبة (40.66%) من عدد الأمثلة في المستوى الصرفي، وبلغ عددها مائة وخمسة وثلاثين(135) مثالاً وجاء هذا العدد مساوِياً لعدد أمثلة ظاهرة الإبدال في المستوى الصَّوتيّ وافترقا في نسبة كلِّ ظاهرة مقارنة بعدد الأمثلة الكليّ داخل كل مستوى لغويّ.

– التبادل بين صيغتيْ المفرد والجمع: وجاءت هذه الظاهرة في المرتبة الثالثة في هذا المستوى بفارق كبير بينها وبين النمطين السَّابقين حيث بلغ عدد الأمثلة في هذا النَّمط عشرين مثالاً بنسبة (6.02%) إلى عدد أمثلة القراءات في هذا المستوى.

– التَّبادل بين صيغ الأسماء والأفعال: وتكرَّرت في ثمانية مواضع مثَّلت (2.40%) من نسبة الأمثلة الصوتية.

– التبادل بين صيغ المبالغة: ورد هذا النَّمط في عيِّنة الدِّراسة مرتين فقط في موضعين مختلفين مثَّلا (0.60%) من عدد أمثلة المستوى الصَّرفي.

– التبادل بين المثنَّى والجمع وكذا التَّبادل بين صيغ الجموع: وهما ظاهرتان جمعهما البحث لعدم تكرار كل منهما، فكل نمط ورد مرَّة واحدة في المادَّة عيِّنة الدِّرَاسة بنسبة (0.30%) فقط من أمثلة الصَّرف.

معنى ذلك أنّ التبادل بين أبنية الأفعال احتلّ المرتبة الأولى من الظواهر الصرفية في قراءات الطّبري، تلاها التبادل بين صيغ الأفعال، ثمّ التبادل بين صيغتيْ المفرد والجمع، بعدها التبادل بين الأسماء والأفعال، ثمّ صيغ المبالغة بعد ذلك يأتي كل من الإبدال بين صيغ التَّثنية والجمع، والإبدال بين جمع القِلَّة والكثرة في مرتبة واحدة لأنّ كل منهما ورد مرَّة واحدة.

(5) أثمر تعدد القراءات كلمات تتعدد طرق نطقها ومعناها متقارب، و تعدد النطق من باب التسهيل و التيسير على مستخدمي اللغة، كما أنَّ الانسجام الصَّوتي الذي يحدث بتبادل الحروف المناسبة لمخارج وصفات الحروف المجاورة يعد لغة أخرى تؤكد أن القرآن الكريم لم ينزل بلهجة قريش وحدها؛ بل نزل بلغة أدبية راقية، احتضنتها قريش بعد اكتسابها بعض السمات اللغوية من القبائل الأخرى، من أظهرها الانسجام الصوتي.

(6) يحدث التبادل بين صيغ الأفعال في القراءات القرآنية ليبيّن ويوضِّح وجوها تفسيرية مختلفة لمعاني الآيات الكريمة، كما في قوله تعالى: "فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (البقرة: 259) ففُسِّرت الآية قياساً على آيات قرآنية مشابهة لها، كقوله تعالى:"وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (البقرة 260). واختيرت القراءة تبعاً لهذا القياس.

(7) يؤدي التبادل بين صيغ الأفعال في القراءات القرآنية إلى موافقة نسق الآية وسياقها ففي قوله تعالى: "فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير" (البقرة: 259) جاءت قراءة الأمر لتوافق سياق الآية الذي كثُرت فيه الصيغ الأمريّة في قوله تعالى: فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا" (البقرة، 259).

الهوامش:

(1) معاني القراءات الأزهري، تحقيق د/ عيد مصطفى درويش، وآخرين، ط1، 1412هـ-1991م، 109/1.

(2) الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور، تحقيق د/ فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ط1، 1996، المقتضب، المبرد، 192/1، 194، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، ط3، القاهرة (1415هـ- 1994م)، 52/1.

(3) الممتع لابن عصفور، 62/1.

(4) البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسيّ، تحقيق، على أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 7/ 34، واتحاف فضلاء البشر، للشيخ أحمد بن محمد البنا، تحقيق د/ شعبان محمد اسماعيل، عالم الكتب -بيروت،2/ 319، والنشر في القراءات العشر ، لابن الجزريّ، تحقيق/ علي محمد الضبّاع، 2/ 336، و المحرر الوجيز، لابن عطيّة الأندلسي، تحقيق.عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1422هـ-2001م، 4/ 240، والتيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، دت، ص166.

(5) حجة القراءات، لابن زنجلة، تحقيق. سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط5، 1418هـ- 1997م، ص519.

(6) المحرر الوجيز، 4/ 240.

(7) الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، تحقيق/ د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط1، 1399هـ-1979م، ص268.

(8) جامع البيان عن تأويل آى القرآن، لأبي جعفر بن جرير الطبري، تحقيق/ إسلام منصور عبد الحميد، دار الحديث- القاهرة، 1431هـ-2010م، 8/ 614.

(9) جامع البيان، 8/ 615.

(10) البحر المحيط، 5/ 320، والسبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 350.
والتيسير في القراءات، 129، والنشر في القراءات العشر، 2/ 296، والمبسوط في القراءات العشر، 247، للأصبهاني أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران، تحقيق/ سبيع حمزة الحاكمي، دت، ومعاني القرآن وإعرابه للزجّاج، 3/ 118، تحقيق/ د.عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1، 1408هـ-1988م.

(11) حجة القراءات، 362.

(12) انظر الممتع في التَّصريف، 52.

(13) الممتع في التصريف، 57.

(14) جامع البيان، 6/ 643.

(15) حول هذا المعنى يُنظر البحر المحيط، 6/ 187، والنشر، 2/ 295، ومعاني القرآن وإعرابه للزجَّاج،3/ 333، والتيسير في القراءات، 149، وحجة القراءات، 444، 445.

(16) لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف- القاهرة، مادة خلص، 1227.

(17) جامع البيان، 766/7.

(18) شرح المفصل، ابن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية، دت، 109/6.

(19) معاني القرآن للزجاج، 52/3.

(20) الحجة لأبي علي الفارسي، 4/ 329.

(21) معجم الأوزان الصرفية، لإيميل بديع يعقوب، عالم الكتب، ط1، 1413هـ-1993م، ص14.

(22) جامع البيان، 2/ 360.

(23) لسان العرب- مادة ظلل، 2755.

(24) الممتع في التّصريف، 51.

(25) نفسه، 64.

(26) المبسوط في القراءات العشر، 295.

(27) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مكتبة نزا ر مصطفى الباز، 616.

(28) السبعة في القراءات، 187.

(29) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي، تحقيق/ محمد أحمد جاد المولى بك وآخرين، ط3، مكتبة دار التراث، 2/ 277 .

(30) شرح شافية ابن الحاجب، 1/ 178، 179.

(31) المبسوط في القراءات، 398.

(32) معجم الأوزان الصرفية، 13، لإيميل بديع يعقوب، عالم الكتب، ط1، 1413هـ-1993م.

(33) معجم الأوزان الصرفية، 14.

(34) جامع البيان، 10/ 31.

(35) المبسوط في القراءات، 269.

(36) جامع البيان، 7/ 392، 393.

(37) البحر المحيط، 6/ 325، 326، والمبسوط في القراءات، 305.

(38) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 333/1.

(39) البحر المحيط، 2/ 371، وحجة القراءات، 152.

(40) الحجة في القراءات السبع، 104.

(41) جامع البيان، 3/ 54.

(42) المبسوط في القراءات، 412

(43) النشر، 2/ 376، ومختصر في شواذ القرآن، 144، ابن خالويه، مكتبة المتنبي- القاهرة، والسبعة في القراءات، 606

(44) الحجة في القراءات السبع، 330.

(45) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، تحقيق/على النجدي ناصف، القاهرة-1414هـ-1994م، 2/ 278 .

(46) حجة القراءات، 299.

(47) حجة القراءات، ص 300.

(48) تشابه التراكيب القرآنية في ضوء بلاغة النَّص، د/ أحمد أحمد غريب، ط1، 1427هـ-2006م، ص 81.

(49) الأشباه والنظائر في النحو، لجلال الدين السيوطي، تحقيق/ إبراهيم محمد عبد الله،1/ 218، والحمل في لغة العرب، لدردير أبو السعود، ص8.

(50) البيت من البحر الوافر لجرير بن عطية الخطفي.

(51) البيت من الوافر لوليد بن عقبة، البحر المحيط، 1/ 601، والسبعة في القراءات، 171، والتيسير في القراءات السبع، 77، ومختصر في شواذ القرآن، 17، والمبسوط في القراءات، 137.

(52) المحتسب، 1/ 114.

(53) شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي، تحقيق/ محمد بن عبد المعطي، دار الكيان، 121.

(54) جامع البيان، 2/ 848.

(55) الممتع في التّصريف، 124.

(56) البحر المحيط، 8/ 376، والتيسير في القراءات السبع، 216، السبعة في القراءات، 661، النشر في القراءات العشر، 2/ 393، والمبسوط في القراءات، 453.

(57) اتحاف فضلاء البشر، 2/ 574.

(58) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، مكيّ بن أبي طالب، تحقيق/ محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط5، 1418هـ-1997م، 950.

(59) البيت من المتدارك لطرفة بن العبد-لسان العرب- مادة برق، 262.

(60) الحجة في القراءات السبع، 357.

(61) نفسه ، ص 357.

(62) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرّافعي، الفيومي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1922، 62/1.

(63) كتاب سيبويه، مكتبة الخانجي، 1988م، 4/ 17-25.

(64) جامع البيان، 226/11، 227.

(65) الممتع في التَّصريف، 124.

(66) البحر المحيط، 3/ 529، وانظر ص350 من نفس الجزء من الكتاب قراءات أخرى للفعل (عبد)، والمحتسب، 1/ 214، والسبعة في القراءات، 246، والتيسير في القراءات، 100، والنشر في القراءات العشر، 2/ 255، وحجة القراءات، 231.

(67) معاني القرآن وإعرابه للزجَّاج، 2/ 187، 188.

(68) شرح التسهيل، لابن مالك، تحقيق. د/ عبد الرحمن السيّد، ود محمد بدوي المختون، دت، 3/ 440، 442.

(69) كتاب سيبويه، 4/ 28-36.

(70) جامع البيان، 4/ 602.

(71) البحر المحيط، 8/ 424، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق د/ أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق، 10/ 704.

(72) البحر المحيط، 8/ 425.

(73) معاني القرآن وإعرابه للزجَّاج، 5/ 290، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل الزمخشري، تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ-1998م، 6/ 322.

(74) جامع البيان، 11/ 406.

(75) شرح المفصل، 7/ 159.

(76) حجة القراءات، 494

(77) المحرر الوجيز، 160/4.

(78) المحرر الوجيز، 160/4.

(79) سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق. د/ عبد القادر عبد الخير وآخرين، دار الحديث- القاهرة، 1431هـ- 2010م، 4/ 4008،1720.

(80) شرح الشافية، 92/1، 93.

(81) جامع البيان، 8/ 337.

(82) البحر المحيط، 5/ 436، السبعة في القراءات، 366، والتيسير في القراءات السبع، 136، والنشر في القراءات العشر، 2/ 301.

(83) المفردات في غريب القرآن، 311، وحجة القراءات، 382.

(84) جامع البيان، 7/ 62.

(85) البحر المحيط، 5/ 347.

(86) البحر المحيط، 5/ 347.

(87) حجة القراءات، 366.

(88) الممتع في التَّصريف، 127.

(89) كتاب سيبويْه، 4/ 60.

(90) نفسه، 4/ 55.

(91) البحر المحيط، 3/ 326، المحتسب، 194/1، معاني القرآن وإعرابه للزجَّاج، 2/ 88، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني ، 108/5، الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

(92) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، 267/1.

(93) جامع البيان، 50/4. وروح المعاني، 5/ 108.

(94) كتاب سيبويْه، 4/ 61.

(95) المزهر، 200/1.

(96) الممتع في التصريف، 131.

(97) أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها، لشمسان، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط1، 1407هـ-1987م، ،47،44، وشرح الشافية، 108/1، 109، وهمع الهوامع، 26/6، 27، والممتع في التصريف، 131.

(98) البخاري، 211/2.

(99) البحر المحيط، 144/6.

(100) الممتع في التصريف، 128، 129.

(101) مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق. أحمد محمد شاكر، دار الحديث- القاهرة. د.ت، 401/13 ح 24210.

(102) حجة القراءات، 204.

(103) حجة القراءات، 205.

(104) المحرر الوجيز، 58/2.

(105) حجة القراءات، 205.

(106) السبعة في القراءات، 217، والتيسير في القراءات السبع، 90، المبسوط في القراءات العشر، 169.

(107) البحر المحيط، 3/ 79.

(108) البيت من بحر الطويل، للكميت بن زيد، لسان العرب مادة (عقب).

(109) الممتع في التصريف، 129.

(110) معاني القرآن وإعرابه للزجَّاج، 5/ 160.

(111) الدر المصون، 10/ 309.

(112) نفسه، 10/ 310.

(113) اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د/عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، 1996م، 176، 177.

(114) جامع البيان، 10/ 779.

(115) التيسير في القراءات السبع، 97، السبعة في القراءات، 238، المبسوط في القراءات، 182، والنشر في القراءات، 2/ 252.

(116) البحر المحيط، 3/ 379، والدر المصون، 4/ 108، 109

(117) جامع البيان، 4/ 197.

(118) البحر المحيط، 4/ 220، والسبعة في القراءات، 269، والمبسوط في القراءات، 202، والتيسير في القراءات، 106 ،107، والنشر في القراءات العشر، 262.

(119) البحر المحيط، 4/ 220، الحجة في القراءات السبع، 149.